الباب الثاني

تاريخ إيران بعد الفتح الإسلامي

الفصل الأول

فتح بلاد فارس

لقد دخلت الإمبراطورية الإيرانية الساسانية في صراعات وحروب مع إمبراطورية الروم، ولكن بعد فتح المسلمين لأراضي الدولتين انتهت تلك الصراعات، وعم السلام في تلك الأقاليم بعد الفتح الإسلامي.

وفي عهد الرسول ﷺ دخلت اليمن والبحرين وعمان الإسلام، فأخذت الزكاة من المسلمين والجزية من اليهود والنصارى والمجوس، وكان على البحرين المرزبان، وقد حصل خلاف حول المجوس: هل هم من أهل الكتاب؟ فاستقر العمل على أخذ الجزية منهم.

بعد فتح العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسقوط الإمبراطورية الفارسية الساسانية وطد المسلمون جيوشهم في الكوفة والبصرة والبحرين، ومنها انطلق الفاتحون لفتح فارس إقليمًا إقليمًا، وكان أغلبهم من المجوس الزرادشتيين، وفيها بعض النصارى واليهود، فكان الفاتحون لبلاد فارس ينذرون أي مدينة قبل دخولها باختيار الإسلام، أو دفع الجزية، أو القتال إذا رفضوا. فكانت أكثر الأقاليم تقبل دفع الجزية، وقد يدخل بعضهم في الإسلام، وفي هذه الحالة يترك الفاتحون الإقليم بيد المرزبان مع ترك بعض الجيش لتثبيت الحكم، فكان المجوس أحرارًا في معابد النار، وكذا الحال في كنائس أهل الكتاب، أما الأقاليم التي ترفض الدخول في الإسلام، وترفض أيضًا دفع الجزية، فيدخلها الجيش محاربًا، فتؤخذ أموالهم، ويؤسر جيشهم، فيقسم غنيمةً على الفاتحين وخمسه يرسل إلى بيت المال، وفي هذه الحالة ينصب على هذا الإقليم حاكم من الجيش الإسلامي، ومن الأمثلة التي جاءت بوصفها

معاهدات بين الفاتحين والبلاد المفتوحة ما جاء مثلًا في المعاهدة التي عقدها القائد المسلم حبيب بن مسلمة مع أهل أرمينيا:

«بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها شاهدهم وغائبهم، إني أمنتكم على أنفسكم وأموالكم وكنائسكم وبيعكم وسور مدينتكم، فأنتم آمنون وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم، وأديتم الجزية والخراج. شهد الله، وكفى بالله شهيدًا».

وفيما يبدو كانت سلطة الفاتحين على الأقاليم التي لم تفتح عنوة سلطة إشرافية غير مباشرة في عصر الراشدين، والدعوة لدين الإسلام غير قصرية، بل كان للإيرانيين حرية الاختيار، فقد شهد البروفيسور غلام حسين صديقي الأستاذ في جامعة طهران، قائلًا: «معاملة هؤلاء الأجانب (العرب) كانت أفضل من الحكام الإيرانيين الذين حكموا قبل هذا الوقت»[1].

ولم تخلو الحال من استثناءات كان سببها ظهور فتن واضطرابات ضد الحكم الإسلامي من أمثال ما حصل زمن معاوية وقيام الوالي عبيدالله بن أبي بكرة بضرب أهل بلخ الثائرين وإطفاء بيوت نيرانهم، أو كما حصل سنة ٤٢هـ من اضطهاد والي خرسان (قيس بن الهيثم) بعض أهلها الثائرين.

وفي العصر الأموي اشتدت قبضة الفاتحين على الأقاليم الإيرانية خاصة تلك التي سمعت بثورات العلويين على الدولة الأموية، كحادثة مقتل الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثورة عبيدالله المختار في الكوفة على الأمويين التي اشترك فيها أكثر من عشرين ألفًا من الفرس الموالي، وكذا هجوم الحجاج على مكة المكرمة وقتله عبدالله بن الزبير، وقمع ثورة العلويين في المدينة المنورة، وقد استنكر عامل عبدالملك بن مروان (عمير) ما عمله إبراهيم بن الأشتر حينما ثار، فقال له: إنه

(١) البروفيسور غلام حسين صديقي: (الحركات الدينية في إيران)، ص٥٣- المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت، ٢٠١٣م.

كان يسمع بين الجنود التحدث بالفارسية ما يشير إلى انضمام الإيرانيين الموالي لهذه الثورة، فهذه الأحداث وجدت أصداءها في إيران في العصر الأموي بين قلة ممن لم يدخل الإسلام في قلوبهم، وكثيرًا أسلموا نفاقًا متخفين بالإسلام، وقد ظلوا على معتقدهم القديم، وهناك صنف ثالث كان على الديانة الزرادشتية رفض الإسلام ودفع الجزية.

وفي هذا العصر تحولت كثير من الأقاليم الإيرانية إلى معارضين للدولة الأموية، ومن أوائل فرق المعارضة التي تكونت في خوزستان وفارس وكرمان فرقة الخوارج المعروفة، حيث انضم إليها كثير من الإيرانيين خاصة أنها تساوي بين العرب والعجم، وكان أغلب قصدهم التخلص من دفع الجزية.

وادعى يزيد بن أنسية في جور فارس أن الله سيبعث نبيًّا على مذهب الصابئة (المندائيين) وهذه الفرقة كانت معروفة في العراق وفي جبل منداي في إيران، فكانت هذه من مظاهر المعارضة ضد الأمويين، وقد تجمع جيش الخوارج من خوزستان يريدون مهاجمة البصرة سنة ٦٥هجرية، فقام الوالي الأزدي المهلب بن أبي صفرة بضربهم، ثم تجمع الخوارج مرةً أخرى بقيادة قطري بن الفجاءة، فاستولوا على الري (طهران) وسيستان سنة ٦٨-٧١هـ، وقد أنهى المهلب حركة الخوارج سنة ٧٧هـ، وقتل زعماءها في طبرستان، وكان بعض هذه المعارضة ضد الأمويين يقودها العرب من أمثال ذلك خروج عاملهم سنة ٨١هـ على خراسان عبدالرحمن بن الأشعث (من كندة) على سلطة الحجاج بسبب عدم إطاعته في أخذ الجزية من المسلمين بدعوة أن إسلامهم كان ظاهريًّا على الرغم من اتساع هذه المعارضة ووصولها إلى البصرة بسبب انضمام كثيرً من الموالي الفرس فيها وتأييدها، وفي ولاية قتيبة بن المسلم الباهلي ظهر كثير من الفتن والاضطرابات، فتولى قمعها بشدة خاصة في خراسان وسمرقند، فحقق بعد ذلك الاستقرار، وكون جيشًا من الفرس المسلمين عددهم سبعة

آلاف بقيادة (حيان) الإيراني لمساعدة الجيش العربي على بسط نفوذه، وبعد سماع قتيبة بن مسلم بارتداد أهل بخارى عن الإسلام سار إليهم، وبسط نفوذه بالقوة، وأسس مسجدًا على بيت النار بعد هدمه، وأسكن العرب بينهم ليعلموهم القرآن والصلاة، وقد حصل من أمثال ذلك في بعض أقاليم إيران. وفي عهد عمر بن عبدالعزيز وبعده عرفت إيران الكثير من الهدوء والاستقرار، فكان يوصي عماله (منهم: الجراح بن عبدالله الحكمي) بالعدل والإحسان وعدم جباية الجزية من أي مسلم حتى من تظاهر بإسلامه، وفي عهد هشام بن عبدالملك رجع بعض عماله في إيران من أمثال أبو الصيداء في أخذ الجزية ممن أسلموا حديثًا، فكان ذلك مدعاة لظهور الفتن والمذاهب، فظهرت فرقة المرجئة بقيادة الحارث بن سريج سنة ١١٥هـ مطالبة بالعدل، ونادت بعدم أخذ الجزية من المسلمين، فانضم إليها الكثير من الإيرانيين، ونادى بالخروج على الخلافة الأموية سنة ١١٧هـ في خراسان وطرد والي الأمويين (عاصم بن عبدالله)، وفي هذا الوقت زادت الخلافات بين القبائل العربية المتنفذة في إيران على الرغم من جهود الوالي (نصر بن سيار) في جمع قوتهم، فقد أدرك أن مزيدًا من الاختلاف سيزيد الشقة، ويصبح خطرًا على سقوط الحكم الأموي وهو ما تنبه إليه هذا الوالي في شعره المشهور لبني أمية: (أيقاظ بنو أمية أم نيام....) وهذه الأوضاع قد سهلت على الدعاة العباسيين الذين انبثوا في خراسان، فمهدوا لخروج أبومسلم الخراساني من هذه المنطقة، وفي سنة ١٢٦هـ قام الشيعة بالثورة ضد والي العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز وتوجهوا مع الخوارج من العراق إلى إيران للمساهمة في حركة أبومسلم الخراساني (من موالي عجل) فتولى أبومسلم الخرساني تجميع الفرس والدهاقنة حوله في خراسان، وبدأ بقتل مخالفيه العرب مناديًا بالولاية لـ (آل محمد). فأحس العرب المناصرون للأمويين بالخطر، فتجمعوا بقيادة مقاتل بن حيان الإيراني، ولكنهم هُزموا، وقتل نصر بن سيار سنة ١٣١هـ، وحينها ثار العلويون والعباسيون في العراق

بقيادة عبدالله بن محمد، حيث التقى جيش قحطبة في كربلاء، وانهزم الجيش الأموي، أما الجيش العلوي العباسي الذي يقوده أبومسلم الخرساني فقد التقى عند نهر الزاب شمال العراق الجيشَ الأمويَّ بقيادة الخليفة مروان بن محمد (الملقب بالحمار) سنة ١٣٢هـ، فهزم الأمويون، وسقطت دولتهم، ويتضح أن موقف الإيرانيين عند الفتح الإسلامي منقسم إلى ثلاث فئات:

- الأولى: فئة دخلت الإسلام عن قناعة وبحرية، ثم بعد ذلك عن فهم، وهُم قِلة.
- والفئة الثانية: دخلت الإسلام في الظاهر، وأضمروا الاحتفاظ بعقائدهم المجوسية لأسباب اجتماعية واقتصادية تهربًا من دفع الجزية.
- وفئة ثالثة: ارتضت البقاء على مجوسيتها، ولم تعتنق الإسلام، وآثرت دفع الجزية.

وطائفة أُسروا في الحرب، فكانوا في عداد المملوكين، وهم طائفة الموالي التي سنبسط الحديث عنها لأهميتها في هذا البحث الذي يوضح علاقة العرب بالإيرانيين منذ القديم، هذا ونود أن نشير إلى أن الأقاليم التي رفضت الإسلام أو دفع الجزية دخلها العرب عنوةً بالسيف، ووزعوا رجالهم ونساءهم على المحاربين ملك يمين، فكان عددهم كبيرًا، وقد سموا بالموالي، واتخذ أكثرهم أسماء عربية، وعملوا في خدمة أسيادهم، وهذه الفئة صح إسلام بعضهم، وبعضهم الأخر آثر إخفاء مجوسيته وعدم قناعته بالإسلام، فكان منهم من انضوى تحت الحركات الشعوبية، أو فرق الشيعة المختلفة أو إلى الحركات والثورات المارقة ضد الدولة الأموية أو العباسية فيما بعد، فكان أثرهم كبيرًا في المجتمع الإسلامي.

وفي القرن الأول الهجري لم ينتشر الإسلام بين الناس في جميع الأقاليم الإيرانية، فكان الغالبية فيما يبدو على ديانتهم القديمة؛ لأن الفاتحين تركوا حكمها غالبًا بيد أمرائها السابقين والدهاقنة الذين كانوا يجبون الخراج من

المزارعين، فقد تركت الأراضي بيد أهلها، فأقاليم شمال غرب إيران، وخاصةً طبرستان (جبال الديلم) قد تأخر إسلامهم بعد هذا القرن، وكذلك في إقليم فارس موطن الزرادشتية، ولكنه تركز في أذربيجان وكردستان وخوزستان، وكان الخوارج كثرًا في كرمان وسيستان[١] وقد فصلت المصادر العربية التاريخية مراحل الفتح الإسلامي لتلك الأقاليم وأسماء القادة الذين قاموا بفتحها، ونشير في هذا الصدد إلى ما كتبه اللواء الركن العراقي الموصلي محمود شيت خطاب في كتبه (قادة الفتح الإسلامي) وقد شرح الكاتب السر الذي كان وراء نجاح القادة العرب والمسلمين في فتوحاتهم تلك، وهو إيمانهم بعقيدة قتالية إسلامية مؤسسة على المبادئ التي ذكرها القرآن الكريم عن القتال والجهاد في سبيل الله، والتي شرحت في الأحاديث النبوية وكتب الفقه، وأوضح الكاتب أن هذه العقيدة تختلف عن العقيدة القتالية الغربية والشرقية اليوم، حيث تعتمد الأولى على كثافة النيران وقلة المقاتلين بسبب وجود مصانع الأسلحة عندهم، وأما الشرقية فتعتمد على كثرة المقاتلين، وهجماتهم موجات متتابعة مع قلة النيران[٢].

وفي أوائل الفتح الإسلامي اختص جيش البصرة بفتح تستر وهرمز والسوس وجندي سابور والأحواز وخرسان، أما جيش الكوفة فقد اختص بفتح أكثر الأقاليم الشمالية الغربية مثل الري وأذربيجان وأرمينية وطبرستان وجرجان. أما جيش البحرين فقد اختص بفتح إقليم فارس وكرمان وإسطخرة وسجستان[٣] ومما لا شك فيه أن تلك الجيوش الفاتحة كانت تساعد بعضها

---

(١) محمد مال الله: يوم الغفران، ص٢٩ وما بعدها -مكتبة ابن تيمية، ١٤١١هـ (؟)١٧- تأليف بطروشوفسكي: الإسلام في إيران ص١٨٧ وما بعدها- ترجمة: د. السباعي محمد السباعي: دار الثقافة للنشر- القاهرة (١٩--)م (؟).

(٢) محمود شيت خطاب: قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، ص٤٨٧، دار الأندلس الخضراء -جدة ودار ابن حزم للطباعة والنشر- بيروت، ١٩٩٨م.

(٣) د. فاروق عمر - ود. مرتضى حسن النقيب: تاريخ إيران - ص٢٤ - مطبعة التعليم العالي - بغداد، ١٩٨٩م.

بعضًا، حينما تقتضي الحاجة لذلك، وقد حصل أن كثيرًا من الأقاليم نقضت الصلح، وتثور على المسلمين، فيتم إعادة فتحها.

وغالبًا ما كان أمراء كل من الكوفة والبصرة والبحرين هم الذين يتولون أمور تلك الأقاليم المفتوحة وتعيين قادة جيوشها وأمرائها في غالب الأحيان. وعمومًا يمكن القول: إن إدارة الأقاليم كان يتبع فيها سياسة الإدارة اللامركزية وترك الحرية إلى الولاة وأمراء الأقاليم بالتصرف لما هو عادل ونافع لعموم الناس.

إن أغلب الأعمال الإدارية كان يقوم بها أهل البلاد المفتوحة، فكان الدهاقون يتولون جباية الخراج والجزية كما هو عليه الحال قبل الفتح، فكانت السجلات والدواوين باللغة الفارسية، ولم تعرب إلا في أواخر الدولة الأموية، وكان الدهاقون في بعض الأحيان يعفون طبقة النبلاء من الخراج أو الجزية، ويفرضونها على الضعفاء من الفرس حتى من دخل منهم في الإسلام، ما أربك أعمال الجباية، وإن رجال الدين المجوس كانوا يقفون حجر عثرة ضد انتشار الإسلام واللغة العربية، ولكن بمرور الوقت مع سياسة اللين بدأ المجتمع يتقبل الأوضاع الجديدة. ويرجح بعض المؤرخين أسباب ضعف الدولة الأموية في إيران إلى تصاعد الخلاف السياسي بين القبائل العربية القيسية العدنانية التي تتحكم في مركز الخلافة في الشام، والقبائل اليمانية القحطانية المتمركزة في العراق والكوفة خاصة من الأزدي، وتصاعد الخلافات بين أمرائها في أقاليم فارس، ما شجع على نجاح الدعوة العباسية خاصة في خراسان، التي كان أكثر قياداتها من قبائل يمانية.

ويضيف بعض المؤرخين أسبابًا أخرى أهمها الاختلاف بين العرب حول قسمة الفيء، خاصة أن الدولة المركزية تطلب من ولاتها إرسال المزيد من الأموال يضاف إلى ذلك أيضًا أن كثيرًا من العرب استقروا في تلك البلاد، وتركوا القتال، فكان يهمهم الاستقرار وحرية التجارة، في حين أن المقاتلين الجدد في الجيش كان

يهمهم المزيد من كسب الفيء وتوزيعه عليهم، ويشير الجدول أدناه إلى ما قام به المؤلف محمود شيت خطاب المذكور من ذكر القادة والأماكن التي فتحوها[١].

م	القائد	البلاد التي فتحها	الإقليم	التاريخ		الملحوظات
				هـ	م	
١	القعقاع بن عمرو التميمي	١- حلوان ٢- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الخفيفة
٢	جرير بن عبدالله البجلي	١- حلوان ٢- فرميسين ٣- همذان	الجبل	١٦	٦٣٧	فتحها بقواته الضاربة
٣	ضرار بن خطاب الفهري	ماسبذان	الجبل	١٦	٦٣٧	
٤	حرملة بن مريطة التميمي	١- مناذر ٢- نهر تيري	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٥	سلمى بن القين التميمي	١- مناذر ٢- نهر تيري	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٦	العلاء بن الحضرمي	أول من هاجم فارس		١٧	٦٣٨	فاتح البحرين وجزيرة دارين
٧	حرقوص بن زهير السعدي	سوق الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٨	جزء بن معاوية التميمي	دورق	الأهواز	١٧	٦٣٨	
٩	النعمان بن مقرن التميمي	١- رام هرمز ٢- نهاوند	الأهواز الجبل	١٧ ٢١	٦٣٨ ٦٤١	
١٠	أبو سبرة بن أبي رهم	تستر، السوس، جنديا سبور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١١	زر بن عبدالله القيمي	جند يساور	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٢	الربيع بن زياد الحارثي	بيروذ/ مناذر	الأهواز	١٧	٦٣٨	
١٣	سلمة بن قيس الأشجعي	جبال الأهواز	الأهواز	٢٣	٦٤١	
١٤	أبوموسى الأشعري	الأهواز	الأهواز	١٧	٦٣٨	

(١) محمود شيت خطاب: المصدر السابق، ص٨٢-٨٥.

١٥	حذيفة بن اليمان العبسي	ماه/ الينور	الجبل	٢١	٦٤١	
١٦	المغيرة بن شعبة الثقفي	أرجان	فارس	٢٢	٦٤٦	
١٧	السائب بن الأقرع الثقفي	مهرجان قذق/ الصيمرة	الجبل	٢١	٦٤١	
١٨	نعيم بن مقرن المزني	١- همذان ٢- الري	الجبل	٢١ ٢٢	٦٤١ ٦٤٢	
١٩	عبدالله بن عبدالله ابن عتبان الانصاري	أصبهان	الجبل	٢١	٦٤١	
٢٠	البراء بن عازب	١- أبهر ٢- قزوين ٣- جيلان ٤- زنجان	الجبل	٢٢	٦٤٢	
٢١	سويد بن مقرن المزني	١-قومس ٢- بسطام ٣-جرجان ٤-طبرستان ٥- جبل جيلان	طبرستان	٢٢	٦٤٢	
٢٢	بكير بن عبدالله الليثي	١- أذربيجان ٢- موقان	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٣	عتبة بن فرقد السلمي	باب الأبواب	اذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٤	سراقة بن عمرو ذو النور	باب الأبواب	أذربيجان	٢٢	٦٤٢	
٢٥	الأحنف بن قيس التميمي	خرسان	خرسان	٢٢	٦٤٢	
٢٦	مجاشع بن مسعود السليمي	أرد شير خره / سابور	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٧	عثمان بن أبي العاص	إصطخر - بلاد فارس	فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٨	الحكم بن أبي العاص	جزيرة بركاون - توج	بحر عمان/ فارس	٢٣	٦٤٣	
٢٩	سارية بن زنيم الكناني	فسا - دارا بجرد	فارس	٢٣	٦٤٣	
٣٠	سهيل بن عدي الخزرجي	كرمان	كرمان	٢٣	٦٤٣	
٣١	عاصم بن عمرو	سجستان	سجستان	٢٣	٦٤٣	
٣٢	الحكم بن عمير التغلبي	مكران	مكران	٢٣	٦٤٣	